A

الأمم المتحدة

الجمعية العامة

Distr.
GENERAL

A/44/498
1 September 1989
ARABIC
ORIGINAL : ENGLISH

الدورة الرابعة والأربعون
البند ٦٦ من جدول الأعمال المؤقت*

استعراض تنفيذ التوصيات والمقررات التي اعتمدتها
الجمعية العامة في دورتها الاستثنائية العاشرة

رسالة مؤرخة في ٣٠ آب/أغسطس ١٩٨٩ موجهة إلى الأمين العام من
الممثل الدائم لجمهورية ألمانيا الاتحادية لدى الأمم المتحدة

أتشرف بأن أحيل إليكم النص الانكليزي لبيان حكومي سيلقيه السيد هلموت كول ، المستشار الاتحادي أمام البوندستاج الألماني في ١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٩ بمناسبة ذكرى اندلاع الحرب العالمية الثانية (أنظر المرفق) .

وسيكون من دواعي الامتنان البالغ إذا أمكن تعميم هذه الرسالة والبيان الحكومي المرفق بوصفهما وثيقة رسمية من وثائق الجمعية العامة في إطار البند ٦٦ من جدول الأعمال المؤقت .

(توقيع) هانز أوتو بروتيغام

* A/44/150 .

المرفق

البيان الذي أدلى به مستشار جمهورية ألمانيا الاتحادية أمام البوندستاج في ١ أيلول/سبتمبر ١٩٨٩ بمناسبة الذكرى الخمسين لاندلاع الحرب العالمية الثانية

أولا

اليوم نتذكر في ألمانيا وأوروبا وسائر أنحاء العالم إندلاع الحرب العالمية الثانية قبل خمسين عاما . وتفرض علينا هذه الذكرى واجبا خاصا بوصفنا الممثلين الذين انتخبهم الشعب الالماني بحرية . ونحن نواجه هذا الواجب بما يتطلبه منا هذا اليوم من جدية .

واليوم يملؤنا الأسى بما تمليه علينا ذكرى الحرب العالمية الثانية من إحساس بالمسؤولية وتنبع المسؤولية الخاصة من أن الحرب قد شُنّت من جانب نظام إجرامي كان يتحكم في ألمانيا آنذاك . ونحن نشعر بالأسى للمعاناة البالغة التي لقيتها الشعوب والأمم من جانب الالمان وباسم ألمانيا ، ونندب الضحايا الأبرياء الكثيرين من قلب امتنا ذاتها .

ولقد كانت الحرب ، كما أرادها الذين شنوها ، حربا عنصرية مدمرة لا تعرف الرحمة . واكتسبت بعدا مرعبا لم يعرف له نظير من قبل - وينبغي ألا يتكرر . وكانت خاتمة لعقيدة شمولية تمجد جنسا واحدا .

وإحياء ذكرى هذه الحرب دين علينا للضحايا الأبرياء ولا سيما ضحايا "المحرقة" (the Shoah) . وهي إبادة الجنس التي تعرض لها يهود أوروبا بشكل لا نظير له ، والبولنديين الذين شن عليهم هتلر حرب استعباد وأباده شامله ، والسنتي والغجر ، والكثيرين غيرهم من ضحايا الطغيان الاشتراكي القومي .

ونندب ضحايا القمع والحرمان من الحقوق الأساسية اللذين فرضتهما الدكتاتورية الهتلرية على ألمانيا أولا ثم على العالم ؛ كما نندب الضحايا الابرياء على جبهات القتال وفي الوطن وضحايا الطرد .

ونتذكر أيضا ملايين الجنود من أمم كثيرة ممن ماتو وهم أسرى حرب أو ممن عادوا إلى أوطانهم معوقين . من ذا الذي يستطيع أن ينسى النساء اللائي انتظرن أزواجهم والأمهات اللائي انتظرن أبناءهن دون جدوى . وكم من طفل فقد أباه أو أمه .

إن ذكرى الضحايا الأبرياء تعني أن علينا أن نبقي الهول حاضرا في أذهاننا كما كان . ويجب أن تظل هذه الذكرى بمثابة تحذير دائم لنا . ويجب ألا نقلل من شأنها عن طريق عقد مقارنات غير صحيحة . ولنلتزم جانب الحذر عندما نقوم دون تفكير أو من باب الجدل باستخدام كلمات مثل "الفاشية" أو "المقاومة" في وصف الأحوال الراهنة .

وليس هناك مجرد ميل الى التهوين من الماضي . بل إن التغاضي عن المعاناة في أيامنا هذه ينطوي على تغافل وعدم تقدير للمشاعر ولنتذكر في هذه اللحظة الشعوب والأمم التي ما زالت محرومة من أن تنعم بالكرامة والحرية .

وبعد تلك الحرب وما خلفته من دمار خلال الفترة من عام ١٩٣٩ إلى عام ١٩٤٥ ، وبعد "أوشفيتز" و "بابي جار" ، وبعد "اورادور" و "ليديس" ، فإن عالمنا لا يمكن أن يظل كما كان من قبل . لذلك فإنه يجب علينا أن نقوم مرارا وتكرارا بدراسة ناقدة للتقاليد والحقائق التي تبدو بديهية .

والاستمرارية ليس لها ما يبررها إلا إذا كانت تنطوي على إدامة عمدية للخير الذي يستحيل القضاء عليه . ويشمل هذا التقاليد المتحررة في تاريخ أمتنا . وهي النسيج الأخلاقي الذي بنينا به جمهورية ألمانيا الاتحادية - وهي أكثر المجمعات التي عاشت على أرض ألمانيا تحررا .

وعلى سبيل التأكيد ، فإنه حتى بعد عام ١٩٤٥ أخذ في بعض المكابرين الذين رفضوا أن يعوا الدرس يرفعون أصواتهم ، غير أن الغالبية العظمى ممن بقوا على قيد الحياة أدانتهم بشدة وأسكتتهم الى الأبد . ذلك لأن الأحياء قد جربوا بأنفسهم آثار المذاهب الشريرة السابقة وعرفوا تأثيرها المدمر حق المعرفة .

إن الشر في التاريخ لا يمكن أن يعيش على الأجل الطويل ، وهذا أمر يبعث على الأمل . فقد خالف هتلر بإيمانه المتعصب في إقامة دولة عنصرية كل الخبرة المكتسبة على مر الزمن . غير أن التاريخ طواه . ولم تمض ١٢ سنة على ما أسماه "دولة الألف عام" ، إلا وكانت حطاما ورمادا .

صحيح أن ذلك الطاغية نجح في تعمية وخداع أعداد كبيرة من الناس في المانيا وبعض الناس خارجها . إلا أن الحكم على تلك الدكتاتورية الاشتراكية القومية لا يكون إلا من واقع جرائمها وحملة التدمير التي شنتها وإبادتها للجنس .

إن الجراح التي خلفتها الحرب العالمية الثانية لم تلتئم بعد ، وما زالت ذكراها حية بين الأمم . إلا أنها أيضا تركت أثرها في كل إنسان على حدة ، بل إنها تركت أثرها في كل انسان عاش هذه الفترة من الرعب حتى ولو كان طفلا . وأني شخصيا أجدني غير قادر حتى الآن على التخلص من الصور التي انطبعت بعمق في مخيلتي في عام ١٩٣٩ - وكان عمري وقتها تسع سنوات - وفي أعوام الحرب التي تلت ذلك . وما زلت أتذكر القصف الليلي المرعب في مدينتي ، وجثث الموتى الكثيرين الممددة في الشوارع وفي المنازل المهدمة .

وهناك أناس آخرون مازالوا يذكرون جيدا عربات الماشية في "قطارات الموت" مكدسة بأناس متجهين إلى معسكرات الإعدام ؛ وميادين القتال في الحرب ، حيث ملايين الجنود الذين يعانون الخوف والحاجة والموت ؛ والمواكب التي لا نهاية لها من الفارين أو المطرودين من الأطفال والنساء والشيوخ الذين أصابهم الهزال ؛ والقطارات التي تحمل اللاجئين حيث الأمهات يحتضن أطفالهن المتجمدين .

إن أولئك الأبرياء الذين فقدوا حياتهم عندئذ وأولئك الذين نجوا من الرعب - يمثلون تحذيرا لنا لكي لا ننسى أن صون حرمة كرامة الإنسان يجب أن يظل هو معيار أعمالنا في كل زمان ومكان . كما يجب أن يكون محك ذلك هو كرامة الضعفاء .

ويجب الا تغيب ذكرى الماضي في ألمانيا بصفة خاصة وأنه لعبء ثقيل علينا نحن الألمان ، غير أنه ساعدنا على صياغة مجتمعنا على نحو يتسم بالمسؤولية كما أنه متطلب أساسي لاستمرار قدرتنا على أن نفعل ذلك مستقبلا .

وعلى خلاف الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، لم تجر مناقشات بعد عام ١٩٤٥ حول من يقع عليه إثم الحرب . لقد أراد هتلر الحرب وخطط لها وشنها . ليس في ذلك شك ولا يمكن أن يكون . ويجب أن نعارض بشدة أي محاولات لتعديل هذا التقييم . إن الصدق والأمانة السياسية والأخلاقية تفرضان علينا ذلك . كما تتطلبه منا الوطنية المستنيرة ، ذلك أن أعمال هتلر المدمرة كانت موجهة أيضا ضد الأمة الألمانية ذاتها : ولما أصيب بالهزيمة التامة أراد أن يجرها معه إلى الحضيض . لقد تحدث عن

"المجتمع القومي" ، غير أنه أراد في الواقع استبعاد الكثير من قطاعات الأمة لا دمجهم فيها . لقد استبدت به فكرة العنصر فأخضع لها كل شيء بما في ذلك مفهوم القومية .

وقد تكلم عن "العناية الالهية" ، لكنه يريد في الحقيقة تدمير الروابط الدينية والتعاليم المسيحية . والثقافة الأخلاقية لا تعني شيئا بالنسبة له ، لكن الحكم المطلق هو كل شيء لديه .

ونحن ، اليوم ، نلحظ مع العرفان أن جمهورية المانيا الاتحادية ، مجتمعنا الحر ، يختلف اختلافا جذريا في كل شيء يصبو اليه المستبدون الاشتراكيون القوميون . فنحن على مدى ٤٠ عاما ، أقمنا عن طريق جهودنا المشتركة جمهورية تلتزم بالحرية وتتمتع باحترام كبير في جميع أنحاء العالم . وترتكز جمهورية المانيا الاتحادية بثبات على تلك القيم التي كان هتلر بالتحديد يمقتها بشدة ويحاربها الى أبعد الحدود .

ثانيا

ان الرجال والنساء الذين أجروا مداولات بشأن دستورنا ، القانون الأساسي ، في المجلس البرلماني ، يدركون جيدا هذا التباين . وهم يعملون بوحي من تجربتنا . فقد شهدوا قيام الاشتراكية القومية . لكن عددا قليلا جدا كانوا يتصورون الى أين ستقودهم دكتاتورية هتلر في نهاية المطاف . وكان شعارهم ملاقاة الشر منذ بدايته "Principiis obsta" ، لأن الكارثة لم تبدأ في عام ١٩٣٩ ، بل قبل ذلك بسنوات ، حتى قبل عام ١٩٣٣ . وبالتالي فان التطورات التي كان من الممكن ايقافها بصورة أولية ، قد تزايدت صعوبة ايقافها وعكس مسارها بمرور الوقت .

ان نشوء الحرب العالمية الثانية يعلمنا أن السلطة الممنوحة أيا كان قصدها ، لا يمكن ضبطها إلا عن طريق توازنات مقابلة .

اننا على الأقل لا نقلل من جرم الحكام الاشتراكيين القوميين عندما نعلن اليوم ما يلي :

- داخل الوطن ، فشلت القطاعات من الصفوة الممتازة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي . ورفض الكثيرون تأييد جمهورية فيمار الديمقراطية . ولكن ظلت فيما بعد ، قلة قليلة منهم الى النهاية تؤمن بالوهم القائل بامكان كبح جماح تعصب الحكام الاشتراكيين القوميين عن طريق التوفيق والتعاون .

- من الصحيح أيضا أن الدول الأوروبية ساعدت دون قصد تطورا كان يحبذ في الواقع خطط هتلر . وقد أخطأت تقديره . أما التوق الواسع النطاق الى "السلم في عصرنا" - على حد تعبير تشمبرلين في عام ١٩٣٨ بعد ميونيخ - فكان بالتأكيد مفهوما ، لكنه كان أيضا مستشارا ضعيفا . وكان من الضروري في ذلك الحين النظر في خطط الدكتاتور بعيون يقظة .

ان وجود توازن شامل في القوة هو وحده الذي يمكن أن يضمن بصورة موثوقة السلم الدائم . لكن السلم الحقيقي يتطلب الكثير . ولهذا السبب فاننا نسلم دون تحفظ في قانوننا الاساسي "بحقوق الانسان المصونة غير القابلة للتصرف باعتبارها الأساس لكل مجتمع والأساس الذي يقوم عليه تحقيق السلم والعدل في العالم" .

ان تجربة السنوات بين الحربين ، تبين أنه لا يمكن قيام توازن عادل اذا كانت النوايا الحسنة قائمة لدى جانب واحد فقط . كما أن التطورات التي أدت الى قيام الحرب العالمية الثانية ، علّمت مجتمع الدول الحرة مدى أهمية أن تكون يقظة . ومازال هذا صحيحا أيضا اليوم ، حتى ونحن نشهد أيضا حاليا تغييرا جوهريا في العلاقة مع جيراننا في الشرق والجنوب الشرقي . ونأمل جميعا أن تدوم التطورات المشجعة التي يشهدها عصرنا وأن يكتب لها الاستمرار . وسنبذل كل ما في وسعنا للاسهام في تحقيق ذلك . ونحن الالمان لدينا التزام خاص بأن نفعل ذلك . ولا ينبع هذا اطلاقا من اتفاق هتلر - ستالين لعام ١٩٣٩ . ونحن ندرك المسؤولية الخاصة التي نتحملها فيما يتصل بالحقيقة القائلة أن هتلر قام بغزو بولندا بعد التوقيع على ذلك الاتفاق ، والذي وصفه الكثيرون بأنه عمل شيطاني . ومن ثم فقد أصبحت بولندا الضحية الأولى لحرب العنصرية والابادة التي شنها الاشتراكيون القوميون .

ان الاتفاقات التي تم التوصل اليها حينئذ كانت اساءة استعمال مخجلة لاستقلال بولندا ودول البلطيق ورومانيا وسلامتها الاقليمية . ولم يكن هناك أي مبرر مهما كان للاعتداء على القانون الدولي ناهيك عن الحق في تقرير المصير . ونحن ندين ذلك التصرف ادانة تامة وما تلاه من مذابح لاحقة .

لقد أعلنت حكومة المانيا الاتحادية في مناسبات عديدة أن اتفاقات عام ١٩٣٩ ليست ملزمة قانونا بالنسبة لجمهورية المانيا الاتحادية . ويعني هذا أيضا أن المعاهدة ذاتها والاتفاقات التكميلية لا تبرر بأي حال من الاحوال ما جرى بعد ذلك من انتهاكات للقانون الدولي على يد الرايخ الألماني والاتحاد السوفياتي .

ان اتفاق هتلر - ستالين كان نتاج تفاعل شرير بين دكتاتوريتين ، اختفت احداها الى الأبد في الجحيم الذي أشعلت أتونه بنفسها . والاتحاد السوفياتي حاليا - بعد ٣٦ عاما من وفاة ستالين - يمر بمرحلة مؤلمة من التحليل النقدي الذاتي في ضوء "التفكير الجديد" .

لقد شهدت الحرب العالمية الثانية تطورا تم اتمامه بالقوة بعد الحرب . فقد تم تقسيم وطننا . وبالنسبة للألمان في الجهورية الديمقراطية الألمانية ولكثير من الشعوب في أوروبا الوسطى وأوروبا الشرقية وجنوب شرقي أوروبا ، شهدت الحرب بداية دكتاتورية جديدة حلت محل الدكتاتورية السابقة . ويمكن جزئيا تفسير تقسيم ألمانيا وأوروبا ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال تبريره بسبب الحرب العالمية الثانية .

وهذا هو السبب في أن الملاحظات من قبيل تلك التي أبداها الأمين العام غورباتشيف في بون في حزيران/يونيه الماضي بأن فترة ما بعد الحرب تقارب نهايتها ، تبعث على الأمل بالنسبة لجميع الشعوب والدول التي تعاني مباشرة نتيجة لتقسيم أوروبا والمانيا ، من حيث أن هذه الملاحظات تعني التغلب على الحالة القائمة بالوسائل السلمية .

ثالثا

وعلى مدى أجيال كثيرة ، تتمسك بولندا المقسمة بشجاعة بفكرة الوحدة الوطنية . كما أن تذكر مصير بولندا بالتحديد ، يمكن أن يساعدنا نحن الالمان على تحمل عبء التقسيم طالما لم نحقق وحدة ألمانيا وحريتها عن طريق تقرير المصير الحر .

ونحن نرى بوجه خاص أننا قريبون من الشعب البولندي فيما يتعلق بالرغبة المشتركة في تقرير المصير الوطني . وقد تكلم عن هذا الموضوع منذ زمن وجيز ، الحاصل على جائزة السلم لاتحاد الناشرين الألمان ، فلاديسلاف بارتوزفسكي ، الذي عانى نفسه كثيرا في ظل الطغيان الاشتراكي القومي ، حيث قال : "ان التغلب على مشكلة

تقسيم المانيا هو أيضا في صالح بولندا . فنحن نلتمس قيام ديمقراطية الى الغرب منا" .

وقد وقع البروفيسور بارتوزفسكي على الاعلان المشترك للكاثوليك البولنديين والالمان احتفالا بأول ايلول/سبتمبر ١٩٨٩ والمعنون "النضال من أجل الحرية والعدل والسلم في أوروبا" . كما وقع على الاعلان أيضا رئيس وزراء بولندا الجديد تاديتش مازوفيسكي . ويسرني أن أغتنم هذه الفرصة لكي أبعث بأطيب تمنياتنا الى رئيس الوزراء مازوفيسكي في موقعه الصعب . ونحن نتمنى له النجاح ونود أن نفعل ما في وسعنا لمساعدته في هذا الصدد .

ولا يمكن وجود أي شك في أن التغيرات السياسية والاجتماعية الجارية في بلدان حلف وارسو تحمل في طياتها الامكانية التاريخية لتحقيق حقوق الانسان لجميع الأوروبيين الذين حرموا منها في العقود الأخيرة ، ومن ثم لجميع الالمان كذلك .

وحكومتي عاقدة العزم على استغلال هذه الفرصة . وكما أعلن كونراد اديناور في اجتماع السيليزيين في ١١ حزيران/يونيه ١٩٦١ ، فان هدفنا هو "أن تصبح أوروبا في يوم من الأيام دارا كبيرة مشتركة لجميع الأوروبيين ، ودارا للحرية" .

ويجب أن يكون الاهتمام الأساسي في أوروبا المستقبل هو تقرير المصير وحقوق الانسان ، وسيادة الشعب بدلا من سيادة الحدود أو الاقاليم . وليست الدول السيادية ، بل الشعوب السيادية هي التي ستنجز في يوم من الأيام بناء أوروبا .

ويجب ألا تعود أوروبا أبدا الى اتباع السبيل المشؤوم من الانسانية الى الوحشية مرورا بالقومية ، التي توقعها غريلبارزر في القرن الماضي . فقد ارتكب الالمان ، باسم المانيا ، أعمالا فظيعة ضد الشعب البولندي . ومن في هذا البلد لايزال يذكر أن معسكرات الاعتقال في الاراضي البولندية كان يقصد بها أيضا القضاء بانتظام على نخبة الامة البولندية ؟

ولا يمكن تحقيق المصالحة إلا إذا قلنا الحقيقة كاملة . وجزء من الحقيقة هو أن أكثر من مليوني الماني لقوا حتفهم كلاجئين أو مطرودين . وقد ترك فقدان الملايين العديدة من مواطنينا لمنطقتهم الأصلية آثار جروح عميقة لديهم . ولا يجب اخفاء هذه التجربة المريرة ؛ بل نريد أن نستخلص منها العبرة . فما الفائدة من تسوية

الحسابات بين الألمان والبولنديين على نحو مازال يفعل البعض ، للأسف ، في هذا البلد وفي بولندا ؟ ان الأجيال القادمة ستحكم علينا من واقع ما نفعله اليوم حتى يمكنهم العيش في سلام وحرية مشتركة .

وتبين المصالحة والصداقة بين فرنسا والمانيا كيف يمكن التغلب على الهُوى العميقة التي وجدت خلال عقود بل خلال قرون . وتبين علاقتنا مع دولة اسرائيل ومع اليهود في جميع أرجاء العالم أنه يمكن حتى عبور الهاويات .

اننا نسعى الى ايجاد تفاهم بين شعبي ألمانيا وبولندا . وهذا هو واجبنا وهو يتفق مع ما تتوق اليه الأمتان . وقد أعرب الرئيس فون فايسكر في وقت سابق من هذا الأسبوع عن هذه الرغبة الصادقة في رسالته الى الرئيس جاروزلسكي ، رئيس بولندا . والآن وبعد مرور ٥٠ عاما على اندلاع الحرب العالمية الثانية ، حان الوقت للمصالحة الدائمة .

اننا ندرك مرارة المشاعر التي ظهرت في الحرب ضد ألمانيا ، في بولندا وفرنسا ثم في الاتحاد السوفياتي ، والتي نعت موت ٣٠ مليون شخص . وقد ذاقت معظم البلدان الأوروبية معاناة شديدة على أيدي الألمان والعديد منهم اليوم هم شركاؤنا بل وأصدقاؤنا .

اننا نشكر جميع الذين مدوا يد المصالحة بعد الحرب والاستبداد ، وأولا وبالذات الأمة الأمريكية التي وفرت بسخاء في مرحلة مبكرة معونة غذائية ومساعدة سخية للتعمير ، مبينة بذلك ما لا يمكن نسيانه من الأنشطة الخيرية والبصيرة السياسية . وقد اشترك في هذه الجهود السلمية زعماء سياسيون مثل الرئيس ترومان وجورج مارشال والعديد من الأفراد .

وفي هذا الصدد ، أود أن أذكر السيد جوزيف روفان من فرنسا الذي كتب هذه الجملة بعد عدة شهور من اطلاق سراحه من معسكر داكاو للاعتقال : بقدر ما محا أعداؤنا السمات البشرية ، بقدر ما يجب أن نحترم بل وأن نجمل تلك السمات فيهم" .

وفي العقود القليلة الأخيرة تم اتخاذ خطوات كبيرة في تحقيق المصالحة مع بولندا . وفي هذا الصدد أود بوجه خاص أن أذكر مختلف مبادرات الكنائس .

وقد شكلت معاهدة وارسو لعام ١٩٧٠ التي وقعها آنذاك المستشار فيلي برانت خطوة أخرى في ذلك الاتجاه . وسنواصل الالتزام بالمعاهدة نصا وروحا . وتعرب بولندا وجمهورية المانيا الاتحادية ، في ديباجتها ، عن ارادتهما لضمان مستقبل سلمي للجيل الجديد الذي ترعرع في تلك الاثناء وارساء "أسس دائمة للتعايش السلمي واقامة علاقات عادية وطيبة" .

وفي بداية الثمانينات ، عندما كانت بولندا تمر بفترة صعبة أبدى شعب جمهورية ألمانيا الاتحادية تضامنه مع الشعب البولندي بتوفير مساعدة سخية بصورة تلقائية .

وانني على يقين من أن انفتاح المجتمع البولندي سيكون له أثر ايجابي على جهودنا . وستزداد فرص التفاهم بين شعبينا كلما تم احراز تقدم نحو تحقيق الحرية الفردية في بولندا . ولا ترتبط المصالحة الحقيقية بالارادة الانسانية فقط ، بل وكذلك بالظروف السياسية .

ولن تستمر مشاعر التعصب وعدم الثقة عندما يمكن عبور الحدود وحيث يمكن تبادل المعلومات والآراء بحرية وحيث يمكن للناس ، وبصفة خاصة جيل الشباب الالتقاء ببعضهم في ظروف من الحرية .

وقد ثبت أن المصالحة الفرنسية الألمانية كانت ناجحة لأسباب ليس أقلها أنها تقوم على أساس مشترك من الديمقراطية وسيادة القانون ولأن التفاهم المتبادل الجديد تطور من خلال زيادة الاتصالات والحوار بين الفرنسيين والألمان .

رابعا

وحيثما تفقد الحرية ، سرعان ما يفقد السلم ، أولا في الداخل ثم ، في كثير من الاحيان ، في الخارج كذلك .

وتحذرنا ديكتاتورية هتلر والحرب العالمية الثانية مرارا وتكرارا من القوة المغرية للنزعة التطرفية بل والاستبدادية . فخطر التطرف موجود دائما حتى في المجتمع المفتوح والديمقراطي .

لذلك من الضروري بالنسبة لدولة ديمقراطية أن تتصدى لمثل هذه الاغراءات في أقرب وقت ممكن . ويعني هذا اذا نظرنا الى الديكتاتورية الاشتراكية القومية ، حماية الشعب من خلال سيادة القانون من التعرض في يوم من الأيام الى الحكم الشمولي .

فالحرية والديمقراطية ليسا مبدأين مجردين . فهما يؤثران على كل فرد بصورة جد مباشرة . والأمر يتعلق بحريته الشخصية وسعادته . فلنضمن معا أن تدرك الشعوب ذلك دائما وأبدا .

ويجب حماية الشعب من الازدواجية الكامنة في أي دكتاتورية مستبدة والتي تتضح في الاغراء والعنف ، والعدالة والظلم ، والتطويع والاكراه . والنظام الاشتراكي القومي قد أوقع بمواطنين حسني النية في شرك مربك شيطاني يصعب الافلات منه بشكل متزايد .

وباتت الحدود الفاصلة بين الخير والشر مبهمة على نحو مطرد . وأمانة الشخص قد تضاءلت قيمتها تدريجيا من حيث كفالتها لحسن السلوك . ومن ثم ، فان تصوير أجيال آبائنا وأجدادنا على نحو واضح لن يؤدي الى انصافهم .

ونحن معشر الألمان ندرك حتى اليوم بشكل مؤلم تلك الطبيعة المتضاربة للحياة خلال الحرب التي شنها هتلر . ومن مآسي تلك الحقبة أن إخلاص ووطنية ملايين الأفراد - سواء على خط الجبهة أو داخل الوطن - قد أسيء استغلالهما لأغراض إجرامية .

ومن انعكاسات خيانة وضلال النظم الاستبدادية أنها تعمد الى وضع الناس في موقف لا يوجد فيه تقريبا بديل أمامهم سوى إن يتورطوا في جريمة ما أو أن يعرضوا أنفسهم للخطر .

ومن ناحية ، كان هناك أولئك الجنود الذين حاربوا وعانوا خلال الحرب العالمية الثانية . وقد كانوا ، في غالبيتهم ، على اقتناع صادق بأنهم يخدمون بلدهم باخلاص . وكذلك كانت هناك مواقف كثيرة تتسم بالشجاعة والعظمة الانسانية ، مما يستوجب بالغ الاحترام . وهذه المواقف لا يجوز الاقلال من شأنها ، كما لا ينبغي في الواقع الاستهزاء بها ، لأنها كانت مرتبطة بتجارب الموت والألم والخوف - وكذلك بوخزات ضمير منغصة في الكثير من الحالات .

ومن ناحية أخرى ، هناك تلك الجرائم التي ارتكبها النازيون . ومن المتعذر فصلها عما حدث إبان الحرب . وثمة أناس كثيرون قد عانوا من هذا التضارب في ذلك الوقت .

وعندما يتعلق الأمر بالحديث عما خلفته الاشتراكية القومية من دمار ، ينبغي أن نأخذ في اعتبارنا أيضا ما لحق بعقول الناس وقلوبهم من خراب . وهذا عبء مثير للمشاعر ، لا بالنسبة لمن تورطوا في هذا المأزق وحدهم ، بل أيضا بالنسبة لأولادهم وأحفادهم ، الذين لابد وأنهم سيقومون من جانبهم بمحاولة إجراء تقييم عادل لأجيال آبائهم وأجدادهم .

ويجب أن نتحاشى التسرع في الحكم من الموقع الممتاز الذي نشغله اليوم . فمن منا يمكنه القول ، بضمير سليم ، أن مواجهة هذا الشر كانت سوف تدفعه الى تجميع أطراف شجاعته ليصبح شهيدا ؟ ومن منا يستطيع أن يقيم ما كان يحدث في ذلك الوقت من مخاطرة ، لا بالنسبة لحياة الفرد نفسه بل بالنسبة لحياة أعضاء أسرته أيضا ؟

والناس اليوم ليسوا بأفضل أو أسوأ ممن عاشوا تلك الحقبة ، ولكنهم ليسوا مكرهين على اتخاذ قرارات ما في ظل الظروف التي كانت سائدة أثناء الحكم الاستبدادي .

ونحن نشير بامتنان الى أن روح الانسانية لم تتحطم حتى في أحلك فترات تاريخنا أثناء الحرب والدكتاتورية . وقد كانت هناك أمثلة حية في كل مكان للمساعدة والكرم والانسانية - وذلك عبر جبهات المعارك .

وهناك رجال ونساء اضطلعوا بالمقاومة . ومن بين هؤلاء يوجد عدد ضئيل جدا ممن خدموا الدكتاتور في أول الأمر ، وذلك الى أن تبين لهم - مثل غالبية الالمان بالطبع - أنهم قد وقعوا ضحية للخداع والخيانة والاستغلال . وقد كانت لديهم المقدرة على تغيير موقفهم ، والكثير منهم قد دفع حياته ثمنا لذلك .

والديمقراطية وحدها هي التي لا تطالب المواطنين بالقيام بما ليس عادة في طاقتهم . وهي توفر لهم الحماية من اتخاذ ذلك القرار المرعب ، الذي كانت تطالبهم به الدكتاتورية الاشتراكية القومية ، وهو أنهم إما أن يصبحوا من العملاء ، وكان ذلك في غاية السهولة ، أو أن يتحلوا بشجاعة بطولية .

ومن ثم ، فان ذكرى دكتاتورية هتلر بالتحديد هي التي تدفعنا الى مقاومة أي حركة تعد بتخليص العالم تماما من جميع الشرور التي تكتنفه . ومن يقومون بتقديم هذا الوعد في طريقهم بلاشك الى كارثة جديدة ، مهما كانت المعجزات التي يبشرون بها . وهم لم يستفيده في شيء من التجربة .

والمآسي التي وقعت بتاريخنا الحديث تعلمنا أنه ليس ثمة طريق وسط بين الديمقراطية والدكتاتورية ، وأنه لا يمكن أن توجد قيم مشتركة بينهما أو تسوية أخلاقية . فالحرية والعبودية ، بعد كل شيء ، لا يمكن لهما أن تتعايشا ، شأنهما في ذلك شأن النار والماء .

والدكتاتورية قد تخدع الناس وتبهرهم ، ولكن الديمقراطية هي التي تمكنهم من الاضطلاع بتقرير المصير . وهي تتولى الاقناع بفضل اعتدالها وسلامتها وتوقعاتها . وتعقلها هو سر عظمتها ، وهو في نفس الوقت سبب لقلة انجذاب البعض اليها .

والديمقراطية ببساطة لا تلائم السباحة في عالم آخر لانهاية به ، ولكنها تناسب الحياة اليومية العادية . وهي لا تتواءم مع الأعمال البطولية الخارقة ، ولكنها تتمشى مع الأعمال الانسانية العادية بكل ما يتمثل في هذه العبارة من معنى .

والأحزاب السياسية وحق المعارضة من مظاهر الديمقراطية الحية . ولهذا السبب بالذات ، قام هتلر بمحاربة الأحزاب على نحو لا يعرف لينا أو رحمة ؛ فالدكتاتور كان يدرك تماما أن الديمقراطية سوف تموت بدورها بمجرد الغاء الأحزاب .

ويجب أن نتذكر أكثر من أي وقت مضى أن الزعماء السياسيين في فترة ما بعد الحرب - مثل رئيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني ، كورت شوماخر ، وأول رئيس للاتحاد المسيحي الديمقراطي ، أندرياس هيرمز ، كانت لهم تجربة مباشرة بالسجون ومعسكرات الاعتقال ، وكذلك في زنزانات الموت في الواقع ، مما أنشأته الدكتاتورية الاشتراكية القومية .

والنتيجة التي نخرج بها من المامنا بتلك الفترة التي ترجع الى عام ١٩٣٣ ينبغي أن تكون متمثلة في أن التطرف ، سواء كان من اليمين أو اليسار ، لا يمكن له أن ينجح وأن يبلغ السلطة إلا اذا ابتعد الناس عن الديمقراطية أو لم يحفلوا بها .

ومن الصعب تجنب حدوث كارثة ما لو أنه - بالاضافة الى ذلك - توحدت الصفوة الاجتماعية والسياسية ، ولو في ظل الوهم بأنهم قادرون على التغلب على المتطرفين .

ولن يكون للتطرف أي فرصة للبقاء اذا عملنا على القضاء عليه في المهد إلا أنه اذا اعتبرنا التطرف شيئا عاديا فقد يشكل تهديدا للديمقراطية . وليس من السابق لأوانه إطلاقا العمل على محاربة تلك الاتجاهات .

ولتجنب نظامنا الديمقراطي ضغطا لا يطاق ، فهو شيء ثمين وسريع العطب في الوقت نفسه . وألا نخطئ فهمه على أنه العلاج الأكيد لجميع مصاعب هذا العالم ومشاكله .

ولندافع عن الديمقراطية وسيادة القانون دائما وفي كل مكان - فمن شأنهما وحدهما ضمان الحرية والعدالة للجميع . وهما وحدهما يحميان الأفراد من مخاطر الشمولية . ولذا فالجميع مدعوون لجعلهما موضع اهتمامهم الشخصي .

خامسا

ان العدالة واحترام القانون والأمن القانوني أمور حيوية بالنسبة للديمقراطية تضاهي حيوية الهواء الذي نستنشقه . هذا هو ميراث المقاومة الألمانية . وأولئك الذين دافعوا باستمرار عن سيادة القانون لن يجدوا أنفسهم في يوم من الأيام مضطرين الى مقاومة أولئك الذين يتحدونه .

ومن الأهداف الرئيسية للمقاومة العمل على استتباب العدالة واحترام القانون والأمن القانوني . وهذا ينطبق على الأقل على أغلبية الذين تصدوا بشجاعة للنظام الاشتراكي القومي . وبالتالي فنحن اليوم نشيد على قدم المساواة ب :

- النجار يوهان جورغ إلسر ،

- الكولونيل كلاوس غراف شينك فون شتاوفتبرغ ،

- جماعة "كريسو" الملتفين حول جيمس غراف فون مولتكة ،

- "الوردة البيضاء" المتمثلة في صوفي وهانز شول ،

- الأشخاص الصامدون مثل يوليوس ليبر وكارل جوردبلر ،

- وجميع الذين دفعهم ضميرهم الى مقاومة الاستبداد بشجاعة .

واذا استخدمنا مصطلح المقاومة الذي لا يمكن فصله عن النظم الدكتاتورية بصورة تعسفية في إطار الأحداث الراهنة ، فلن ننتقص بذلك من المقاومة الألمانية فحسب ، بل سنقوم بتزييف خطير للوقائع التاريخية .

أما الاشتراكيون القوميون فقد حاربوا بشراسة جميع النظم الفلسفية المنافسة بادعائهم احتكار الفلسفة . ونظروا الى المسيحيين والاشتراكيين ، والليبراليين والنقابيين والمحافظين والشيوعيين على أنهم أعداء ، وما قُدر لنا نحن الشعب الألماني أن نشرع في انطلاقة جديدة هائلة بعد عام ١٩٤٥ دون التفاعل بين أناس ينتمون الى معتقدات سياسية مختلفة تمام الاختلاف .

ولا يتحدد الطابع المعنوي العظيم الذي تتسم به المقاومة بمقدار نجاحها أو فشلها . فقد كان لابد من القيام بمحاولة اغتيال هتلر في جميع الاحوال وبأي ثمن . أما الكولونيل هنغ فون تريشكوف ، الذي كان له تأثير كبير على أفكار وأعمال شتوفنبرغ منذ عام ١٩٤٣ وما بعده ، فقد كان له بصورة خاصة كلمات عظيمة في هذا الصدد . ووصف مرة أخرى قبل وفاته الدافع الأساسي لعمله فقال :

"اعتبر هتلر العدو الأول ليس فقط لألمانيا بل للعالم أجمع . وبعد ساعات قليلة سألفظ نفسي الأخير وأواجه ربي ليحاسبني على ما قمت به وما أغفلت ، وعندها سأكون قادرا على الاجابة بضمير حي على ما قمت به في محاربة هتلر . وعلى غرار ما عاهد الله ابراهيم عليه بأنه لن يدمر سدوم إذا ما وُجد عشرة أشخاص صالحين في المدينة ، فإنني آمل لما فيه صالحنا أن الله لن يدمر ألمانيا" .

وندين بامتنان كبير لرجال ونساء المقاومة الألمانية . كما يستحق الاحترام الكبير أولئك الذين اضطروا ، بسبب رفضهم مساندة النظام الدكتاتوري ، الى الهجرة أو الفرار منه . ومن بين هؤلاء أناس عملوا وقتئذ ، بدافع من حبهم لوطنهم على محاربة الدكتاتورية الهتلرية من الخارج . وكان في عدادهم كُتاب حاولوا أن يثيروا همم العالم من خلال قوة كلماتهم ولفت انتباهه الى ما كان يحدث في ألمانيا .

ولم يكن من السهل بالنسبة لمعظم الذين هاجروا من ألمانيا أن يتركوا وطنهم كما أن البعض منهم وجد من الصعب أن يعود الى الوطن فيما بعد . ولذا فاننا جميعا نشعر بامتنان كبير لأولئك الذين ساعدوا على بناء جمهورية ألمانيا الاتحادية . وحتى يومنا هذا لا تزال هذه المشاركة ذاتها تساعد الى حد كبير في الجهود المبذولة حاليا في سبيل المصالحة والسلم .

ولأذكر أيضا رجلا أعتبره من الأبطال البواسل في القرن العشرين وهو : راوول فالنبرغ . ففي عام ١٩٤٤ ، عندما كان عمره ٣٢ عاما ، خاطر بحياته لينقذ من الموت مئات الآلاف من اليهود في بودابست . وفي عام ١٩٤٥ ، تم ترحيله الى الاتحاد السوفياتي وهو حتى هذا الحين من عداد المفقودين .

وفي محادثاتي مع الأمين العام السيد غورباتشوف ، استرعيت انتباهه الى المصير الغامض لذلك الرجل الشجاع العظيم ، وآمل من كل قلبي أنه ، في هذه المرحلة من التغيير التي تشهد مناقشة علنية لميراث النهج الستاليني التعيس في بلدان حلف وارسو ، قد يكون من الممكن ايضاح مصير راوول فالنبرغ بصورة مقنعة تماما . وبالتالي فاني أرحب بالدعوة التي وجهتها السلطات السوفياتية مؤخرا الى أقرباء راوول فالنبرغ للذهاب الى موسكو .

سادسا

أود اليوم ، بمناسبة الفاتح من أيلول/سبتمبر ، أن أخاطب على وجه الخصوص الشباب في ألمانيا . فهم لا يتحملون أي قسط من عار الدكتاتورية والحرب العالمية - لا جماعيا ، لأنه لا يوجد إحساس بمثل هذا الذنب ، ولا فرديا ، لأنهم لا يزالون صغار السن . ومع ذلك فهم يتحملون المسؤولية لأن الماضي لا يزال معنا . فألمانيا لا تستطيع التهرب منه . ولكن لنتصور على الدوام عبء التاريخ على أنه فرصة كذلك . فأي انسان له إلمام حسن بتاريخ هذا القرن يدرك إدراكا عميقا مخاطر ومزالق عصرنا . ولنقاوم أيضا الاغراء المعاصر المتمثل في احتقار الوطنية وحب المرء لوطنه لأن هاتين القيمتين جرت إساءة استغلالهما في عهد الاشتراكية القومية . فإظهار الاحتقار للوطنية سيكون بمثابة امتثال غير متعمد لنوايا هتلر . وقد خطر ذلك ببال الكولونيل لودينغ بيك الذي اشترك في محاولة الاغتيال التي وقعت في ٢٠ تموز/يوليه ١٩٤٤ ، وكتب ذات مرة يقول بفزع كبير : "هذا الرجل ليس له إحساس بالوطنية بتاتا ."

إن حب المرء لوطنه وحبه للحرية والوطنية والوعي الأوروبي ينبغي ألا يؤديا أبدا ، مرة أخرى ، الى مسارين منفصلين - وهذا هو الاستنتاج الذي ينبغي أن نتوصل اليه .

كذلك فان من الضروري ربط قيم مثل الشجاعة والولاء والتفاني ربطا لا ينفصم بالمقاييس الأخلاقية الأساسية . ومن الأمثلة على ذلك أن جنود قوات الدفاع الاتحادية لا يدينون بالولاء لأي شخص بعينه ، وإنما بالدفاع عن القيم المكرسة في دستورنا الليبرالي ، وهو القانون الأساسي الذي استن قبل أكثر من ٤٠ عاما .

سابعا

وهذا التقليد اخطته مؤسسو جمهورية ألمانيا الاتحادية ، ألا وهي الجمهورية الألمانية الثانية ، في ضوء تجربة التاريخ الألماني . فلقد قادوا بلدنا مرة أخرى الى طريق التقاليد الليبرالية ، التي لم تستطع لا الحرب ولا الطغيان تحطيمها .

ونستطيع أن نعتز بدستورنا الليبرالي ، ولكونه ينص على ما يلي :

- التسليم بالأسبقية المطلقة لكرامة الانسان في جميع مجالات الحياة ؛

- نبذ الحرب والقوة بوصفهما وسيلة سياسية وكذلك أي نزعة للانتقام : وهو قرار أيده المبعدون الألمان في ميثاق شتوتغارت الصادر في عام ١٩٥٠ ؛

- الالتزام بالهدف المتمثل في ألمانيا الحرة والمتحدة في إطار أوروبا الحرة والمتحدة .

وإن من مظاهر الانسانية العميقة أن واضعي القانون الأساسي في بلدنا منحوا ضحايا الاضطهاد السياسي أو العنصري حق طلب اللجوء . فانسانية أي مجتمع لا تتجلى فقط في احترامه لحرية وكرامة مواطنيه وإنما أيضا في مدى استعداده لاستقبال ضحايا القوة والاضطهاد في البلدان الأخرى .

وجميع هذه القرارات مهدت الطريق لكي ينال مجتمعنا الاعتراف به بوصفه أحد أفراد الأسرة العالمية المحبين للسلم والملتزمين بالحرية والعدالة الى درجة لم يكن أي شخص بالتأكيد يجرؤ على الحلم بها في عام ١٩٤٥ ، أي وقت نهاية الحرب والطغيان . ومما يدعو الى الاغتباط أن يكون باستطاعتنا أن نقول ذلك اليوم ، أي بعد ٤٠ عاما على تأسيس جمهورية ألمانيا الاتحادية .

ونحن نشهد الآن ولوج أوروبا عهدا جديدا ، والواجب يقضي بأن نكون على استعداد للاضطلاع بدور كبير في تشكيل هذا العهد . فأوروبا ، بل والعالم أجمع ، مقدمة على تحول بعيد المدى ، تحول جذري في المجالين الاقتصادي والاجتماعي . وللمرة الأولى منذ نهاية الحرب تلوح إمكانية الخروج من ظل الصراع بين الشرق والغرب .

إن التطورات التي تحدث في قارتنا العتيقة تبهر شعوب العالم أجمع . وأي بلد يمكن أن يكون لها اهتمام بنصرة قضية الحرية أكثر من اهتمام بلدنا ؟ ذلك انهيار الهياكل التي تصلبت عبر العقود في أوروبا مدعاة لتجديد الأمل في توحيد وطننا .

إن الزمن يعمل في صالح قضية الحرية وليس ضدها . ولهذا ففي يوم الذكرى هذا نتطلع الى المستقبل أيضا . وبصرف النظر عن الحزن الذي نشعر به حينما نتذكر الفاتح من أيلول/سبتمبر ١٩٣٩ ، فاننا ندرك مسؤوليتنا نحو الأجيال المقبلة . فسوف يحكمون علينا ذات يوم بما اذا كنا قد استخلصنا الاستنتاجات الصحيحة من الحرب والدكتاتورية وبما اذا كنا قد ارتفعنا الى مستوى المسؤولية بالقيام ، في نهاية المطاف ، بايجاد عالم أفضل وأكثر اتساما بالسلم .

ونحن نتطلع الى مستقبل تكون فيه أمم العالم متحدة سلميا في ظل الحرية المشتركة ، ولن نألو جهدا في جعل هذه الرؤية حقيقة واقعة . وباحياء ذكرى الفاتح من أيلول/سبتمبر ١٩٣٩ ، فاننا إنما نذكر بأن هذه الذكرى هي أقيم شيء نتركه للأجيال المقبلة .

- - - - -